

الفصل الأول  
أهمية النظرية في الإرشاد  
والعلاج النفسي

### معنى النظرية:

تعتبر النظرية نموذجاً أو إطاراً يساعد في رؤية العلاقات بين الظواهر والحقائق، فهي تقدم تفسيراً وشرحاً للسلوك (فهمه)، كما تساعد في التنبؤ بهذه الظواهر السلوكية من خلال تعميمات احتمالية حيث تفترض أن أشياء أو عمليات معينة إذا وقعت فإن هذه الظواهر سوف تقع (التنبؤ)، كما تساعد النظرية في تقديم طرائق تساعد في التحكم بهذه الظواهر (الضبط والتحكم)، وهكذا فإن النظرية تساعد في بلوغ أهداف العلم الثلاثة وهي: التفسير، والتنبؤ، والضبط. ونحن في علم النفس ندرس السلوك بهدف فهمه وتفسيره، والتنبؤ به، وضبطه. فإذا كنا في الإرشاد والعلاج النفسي ندرس السلوك المرضي فإن النظريات تساعدنا في فهم هذا السلوك المرضي، وتفسيره، والتنبؤ به، كما تقدم لنا طرائق وتقنيات تساعدنا في ضبطه وتعديله. وهذه هي الغاية الأساسية من دراسة أية نظرية من نظريات الإرشاد والعلاج النفسي (Gilliand,B; Hames,R. and Robert,G. 1999).

### أهمية النظرية: لماذا نحتاج إلى نظرية في الإرشاد؟

تعتبر النظرية الأساس الذي ينطلق منه الواقع العملي، وليس هناك أهم للناحية العملية والتطبيقية من وجود نظرية جيدة، لأن مثل هذه النظرية بمنزلة خريطة تساعدنا في معرفة ما نبحث عنه (فهم الظاهرة السلوكية)، وماذا نتوقع (التنبؤ)، وأين نمضي (التحكم)، من هنا فقد اعتبر بعضهم النظرية بمنزلة الدليل للسائح، أو خريطة الطريق التي توضح له اتجاهه، وطريقه في بلوغ الهدف.

### يمكن إيجاز الدور الذي تؤديه النظرية في النقاط التالية:

- 1- تساعد النظرية أي علم في تحديد هويته وموضوعاته الأساسية، مما يساهم في إبراز دوره المعرفي، وما يجب دراسته أكثر، وما الذي يجب تجنبه.
- 2- تساعد النظرية في الاستفادة من البيانات الموجودة لدينا لأنها تحاول أن تفترض القوانين وتتنبأ بها من الأحداث. فالنظرية تشتمل على توقعات وتقديرات يمكننا اختبارها والتحقق منها.
- 3- تساعد النظرية على أن نركز على البيانات المناسبة، حيث نخبرنا بما ينبغي أن نبحث عنه، وتقودنا إلى استخدام المصطلحات والمفاهيم المناسبة، فمثلاً بعد بناء نظرية الذات (لروجرز) أمكن قبول بعض المصطلحات والمفاهيم المرتبطة مثل: التعاطف والمشاركة الوجدانية، والألفة (اشناوي، 2003).
- 4- تساعد النظرية على بناء طرائق واستراتيجيات علاجية جديدة للسلوك في الموقف الإرشادي والعلاجي، وتقييم الطرق والأساليب القديمة. ويرى ستيلفر وماثي أن النظرية

تؤثر بشكل مباشر على توقعات المسترشد وعلى طريقة سلوكه أثناء الإرشاد، مثلما تؤثر على سلوك المرشد نفسه مادامت تصرفاته تبنى على نظريات صريحة أو ضمنية يقتنع بها فيما يتعلق بطبيعة الإرشاد وعملياته (العزة، وعبد الهادي، 1999).

### خصائص النظرية الجيدة:

- يرى باترسون (1986) أن النظرية الجيدة يجب أن تتمتع بالخصائص التالية:
- أن تشتمل على افتراضات ومسلمات متسقة داخلياً وبنائياً، تعتبر بمثابة معطيات مقبولة لاحتجاج إلى إثبات.
  - أن تشتمل على تعريفات للمفاهيم والمصطلحات الخاصة بها، وهي مفاهيم ومصطلحات نتجت عن الملاحظة والممارسة، وتجعل من الممكن دراستها واستخدامها في البحث العلمي.
  - تشتمل هذه المفاهيم على علاقات، إما علاقات ارتباطية، أو علاقات سببية .
  - أن تكون النظرية بسيطة تشتمل على أقل ما يمكن من التعقيدات وعلى عدد قليل من الافتراضات.
  - أن تكون مفهومة ومنسقة داخلياً، وخالية من الغموض.
  - أن تكون النظرية شاملة بحيث تغطي مجال اهتمامها وموضوعها في وصف الظاهرة وتحليلها.
  - أن تكون قابلة للاختبار والبحث مما يكسبها مشروعيتها العلمية، فالنظرية التي تأتي بقضايا تستعصي على التجريب والبحث العلمي لاتعد نظرية جيدة.
  - أن يكون للنظرية قدرة تنبئية، فالنظرية التي تقف عند تفسير الظاهرة، ولاتتنبأ بها يفقدها قوتها العلمية ويجعلها غير قادرة على مساعدة العلم في التنبؤ والضبط.
  - يجب أن تتمتع النظرية الجيدة بالقابلية للممارسة والتطبيق.

ويختم باترسون عرضه لخصائص النظرية الجيدة بتعليق حول نظريات الإرشاد والعلاج

النفسي:

"إذا بحثنا عن نظرية للإرشاد والعلاج تستوفي هذه الشروط فربما لانجد واحدة، بل ربما لانجد نظرية في الشخصية أو التعليم مستوفية لها، والنظريات الموجودة الآن لاتزال في مرحلة مبدئية، والمعايير أو الشروط المذكورة أعلاه، هي بمنزلة غايات يتطلع إليها علماء النفس. ومعظم نظريات الإرشاد والعلاج النفسي غير مصاغة في الصورة الرسمية، رغم أن بعضها يعتبر محاولات للصياغة في صورة فرضيات ومسلمات متسقة ومتراطة داخليا، وفي كثير من الحالات فإن المفاهيم والمصطلحات النظرية تعتبر ضمنية أكثر من كونها صريحة، والتعبيرات الصريحة

لوجهات النظر في الإرشاد تختلف عن التعبيرات المحددة التي تهتم فقط بجانب أو عنصر واحد في عملية الإرشاد"، (عبد الرحمن، 1998).

### علاقة نظريات الإرشاد بنظريات الشخصية والنمو:

لا يمكن فصل نظريات الإرشاد والعلاج النفسي عن نظريات الشخصية، ونظريات النمو، ونظريات التعلم، أو عن مدارس علم النفس عامة. فالمرشدون يتعاملون مع السلوك، وإذا كان المرشدون النفسيون يتعاملون مع السلوك المضطرب، أو السلوك المشكل والمخالف للمجتمع، فإن اهتمامهم أساساً هو السلوك أيّاً كان نوعه وطبيعته، فالمظهر السلوكي الذي يتعاملون معه هو ضمن مجال الشخصية، وبين مظاهرها الاجتماعية والفردية،، وهدف الإرشاد والعلاج هو تعديل السلوك أو تغييره، وعلى الرغم من اختلاف أساليب الإرشاد إلا أنها تسعى جميعها إلى تغيير في المشاعر، والاتجاهات، والقيم، والمدرجات أو طرق التفكير. لقد فرق (هول وليندزني) بين النظريات التي تتعامل مع أي حدث سلوكي ذي أهمية للكائن الإنساني (النظريات العامة للسلوك) وتلك التي تحدد نفسها بمظاهر معينة من السلوك الإنساني (النظريات ذات المجال الواحد). إنه من الصعب التفرقة بين النظريات بصورة واضحة، فنظريات التعلم هي نظريات سلوكية، وكذلك نظريات الإرشاد أو نظريات الإدراك والمعرفة هي نظريات سلوكية لأن الإدراك مركزي في جميع أشكال السلوك، فالسلوك كل متكامل وكل نظرية تتعامل مع مظهر أساسي من مظاهره (الحسي الحركي، المعرفي، الانفعالي، العقلي، الاجتماعي، القيم والاتجاهات... الخ) ينبغي أن تصبح نظرية سلوكية. إن النظريات المهمة بمختلف هذه المظاهر السلوكية، يجب أن تكون منسجمة بمجموعها لتكون نظرية عامة في السلوك. نظرية تعلم، ونظرية شخصية، ونظرية نمو، ونظرية معرفة وإدراك، ونظرية إرشاد وعلاج ينبغي أن تكون كلها أجزاء من نظرية عامة في السلوك البشري طالما أنها جميعها تدرس جوانب هذا السلوك الكلي. فمناقشة نظريات الإرشاد يتطلب تناول مجالات الشخصية، والنمو، والتعلم، كما أن كل نظرية إرشادية يجب أن يكون وراءها نظرية في الشخصية، والنمو، والتعلم، والاتجاهات، والإدراك وغيرها من مظاهر السلوك، وعادة ما يكون الترابط بين هذه الجوانب ترابطاً ضمنياً وليس صريحاً، وعندما يكون الترابط بين نظريات الإرشاد ونظريات الشخصية والنمو والتعلم صريحاً - وليس ضمنياً- فإن هذا الترابط يكون نتيجة تطور حدث في النظرية الإرشادية والعلاجية كما حدث في نظرية العلاج المتمركز حول العميل لكارل روجرز (ناي، 2001).

وهذا لا يمنع انسجام نظرية إرشادية مع نظرية من نظريات الشخصية، تكون قد نمت بصورة مستقلة عن أي نظرية إرشادية، فنظريات الإرشاد ونظريات الشخصية متداخلة، ولو أنه لا يوجد بالضرورة نظرية إرشادية في مقابل كل نظرية من نظريات الشخصية. وكما تعامل علماء النفس الإرشادي ذوو النظريات الإرشادية المختلفة مع كل نظرية للشخصية فسوف يتم عرضها هنا كجزء من ملخص الطريقة الإرشادية.

هذا بالنسبة لنظريات الشخصية، ولكن ماذا عن نظريات التعلم وعلاقتها بالنظريات الإرشادية؟ يقول ألبورت: إن نظريات التعلم -مثلها مثل الكثير من نظريات علم النفس- تستند إلى تصورات الباحث لطبيعة الإنسان، وكل صاحب نظرية من نظريات التعلم هو في حقيقته فيلسوف طالما أن له نظرة في الإنسان، والشيء نفسه يقال بالنسبة لأصحاب نظريات الإرشاد النفسي. من هنا يبدو من الضروري أن نتعرض للتعميمات الخاصة بطبيعة الإنسان التي تعبر عن خلفية النظرية التي نبحتها، والتعرض لأهداف الإرشاد التي تبناها أصحاب هذه النظرية (باترسون، 1999).

### تصنيف نظريات الإرشاد والعلاج النفسي:

ترتبط نظريات الإرشاد والعلاج النفسي بغيرها من النظريات الأساسية في علم النفس وخاصة نظريات الشخصية، ونظريات التعلم، ونظريات النمو، لذلك يصعب تصنيف هذه النظريات دون مراعاة هذه المجالات، حيث يصبح لزاماً علينا حين نعرض كل نظرية من نظريات الإرشاد أن نتطرق لوجهة نظر كل نظرية في مجال الشخصية، والنمو، والاضطراب، حتى نستعرض تقنياتها الإرشادية والعلاجية.

هناك تصنيفات متعددة لنظريات الإرشاد، فقد صنفاها بينسكي وبينسكي منذ عام (1954) إلى المجموعات التالية:

- 1- مدرسة السمات والعوامل.
- 2- مدرسة الاتصالات.
- 3- نظريات الذات.
- 4- مدرسة التحليل النفسي.
- 5- المدرسة السلوكية.

بينما صنف العزة وعبد الهادي (1999) نظريات الإرشاد النفسي وفقاً للاثجاهات الأساسية في علم النفس مثل:

- 1- النظريات التحليلية (فرويد، أدلر، سوليفان، هورني).
- 2- النظريات السلوكية (دولارد وميللر، وولبي، ستامفل).
- 3- النظريات المعرفية (أليس، ومايكنباوم، وبيك).
- 4- النظريات الإنسانية (الوجودية، والعلاج بالمعنى).
- 5- النظريات الظاهرية (نظرية روجرز، والنظرية الجشتالطية).
- 6- النظريات الانتقائية في العلاج النفسي (نظرية ثورن، ونظرية هارت).

وقد صنف بارتسون نظريات الإرشاد والعلاج النفسي كما يلي:

- 1- النظريات العقلية المعرفية: وتضم: نظرية وليم سن ووجهة نظر مينيسوتا، نظرية ثورن وإرشاد الشخصية، نظرية ألبرت إليس في العلاج العقلاني الانفعالي.
- 2- نظريات الإرشاد السلوكية، وتضم: نظرية سالتير والعلاج بالإشراف الكلاسيكي، نظرية وولبي والعلاج بالكف المتبادل، نظرية دولارد وميلر في الإرشاد بالتعزيز، نظرية روتر في الإرشاد بالتعلم الاجتماعي، ونظرية فيليبس والإرشاد المبني على التدخل.
- 3- النظريات التحليلية، وتضم: الإرشاد المبني على التحليل النفسي الفرويدي، ونظرية بوردين، ونظرية التحليل النفسي عند ألكساندر.
- 4- نظريات الإرشاد النفسي المبني على الظاهرية والمجالية، وتضم نظرية كيلى، ونظرية جريكينز في الإرشاد، ونظرية روجرز في الإرشاد غير المباشر.
- 5- النظريات الإنسانية والوجودية، وتضم: نظرية العلاج بالمعنى عند فرانكل، والعلاج الوجودي.

### تصنيف الباحث - المؤلف لنظريات الإرشاد والعلاج النفسي:

- من خلال خبرة الباحث وتوجهه العلمي، ونظراً لاعتبارات أكاديمية لسنوات طويلة في التدريس الجامعي سيعرض نظريات الإرشاد والعلاج النفسي وفقاً للنموذج التالي:
- أولاً: النظريات السلوكية: وتضم: نظرية دولارد وميللر، ونظرية سالتير، ونظرية وولبي، ونظرية روتر.
- ثانياً: النظريات الظاهرية: وتضم: نظرية كارل روجرز، ونظرية العلاج الجشتالطي الفردي، والجماعي.
- ثالثاً: النظريات المعرفية: وتضم: نظرية جورج كيلى، ومايكنباوم، ونظرية بيك، ونظرية ريمي، ونظرية سانتوستيفانو.
- رابعاً: النظريات الإنسانية: وتضم: نظرية العلاج الوجودي، ونظرية العلاج بالمعنى لفرانكل، ونظرية جلاسر في العلاج الواقعي.
- خامساً: النظريات التحليلية: وتضم نظرية التحليل النفسي الكلاسيكي لفرويد، والنظريات الفرويدية الجديدة.
- سادساً: النظريات الانتقائية: وتضم: نظرية ثورن التوفيقية، ونظرية هارت.
- سابعاً: النظريات الحديثة والمعاصرة: وتضم: نظرية التحليل عبر التفاعلي لبيرن، ونظرية المساعدة الفعالة لايجن، ونظرية لارسن في التدريب على المهارات، ونظرية الإرشاد والعلاج التوافقي لهاوارد وزملائه.

لم يتبع الباحث في عرضه لنظريات الإرشاد والعلاج النفسي التسلسل التاريخي، كما لم يأخذ في اعتباره أهمية النظرية وفائدتها من خلال عرضه لهذه النظريات، وهذا يعني أن النظريات التي عرضت أولاً ليست بالضرورة هي الأكثر أهمية وفائدة، أو أن الأخيرة ليست مهمة، فجميع النظريات التي تم عرضها ذات فائدة كبيرة، ومهمة جداً، من جهة أخرى فإن جميع هذه النظريات لها مميزات وسلبيات تم عرضها. وعلى الباحث والمرشد النفسي أن يكون ماهراً ومتمرساً في اختيار النظرية (النظريات) التي تناسب الحالات التي يتعامل معها، كما يمكنه أن يستفيد من جميع النظريات في الوقت نفسه حين يصمم برنامجاً إرشادياً، وهنا تبرز مهارة المرشد ومرونته في الإرشاد. وحين تظهر مثل هذه المرونة، فإن ذلك دليل على أن الإرشاد فن وعلم، وليس مجرد علم ونظريات أو قوالب جاهزة.